ذكرى

قطوف شائكة

صالح حليس

ليسمح لي أستاذي الدكتور فتحي يكن أن استعير عنوان كتابه الرائع (قطوف شائكة) الذي نتعلم منه فن النقد والنقد الذاتي البنّاء من أجل التصحيح ورفع البناء ..

فمما لا شك فيه أن العملية التربوية بحاجة إلى تقييم وتقويم مستمرين ، ووفق معايير واضحة بعيدا عن الارتجالية ..وهنا أسجل ثلاث ملحوظات لتكون : ذكرى للذاكرين :

الأولى في معالجة الأخطاء :

نحن نؤمن جميعا بأن كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون .. لكن المشكل ليس في الخطأ وإنما في معالجة الأخطاء ..

فبعضنا يعالج الخطأ بخطأ مثله أو أكبر منه .. وبعضنا يعالج الخطأ بتركه وإهماله .. وحتى نعالج الخطأ علاجا جذرياً؛ ينبغي اختيار الوقت المناسب، والمكان الملائم، والأسلوب المؤثر، الذي لا يغفل عنه لبيب، ولا يجهله عاقل حصيف، فالحذر من إصلاح خطأ يؤدي إلى خطأ أكبر، فإن أدى الإصلاح إلى مفسدة، فهو ليس إصلاحا عندها، بل هو فساد يترتب عليه مضار أكبر.

ولابد أن نتذكر أن المخطئ قد يربط الخطأ بكرامته فيدافع عنها فيما صدر منه، وإذا تركنا للمخطئ مخرجا سهل الرجوع إليه، وجعلنا له خيارات للعودة فلا نغلق عليه المخارج، وان نحترم ما يبوح به، ويذب به عن نفسه، بل نلتمس له العذر فيما صدر منه.

كما يجب أن يعلم المعالج أو المربي أن اللوم على الخطأ لا يأتي بنتائج ايجابية في الغالب، ذلك أن اللوم يحطم كبرياء النفس، ويضعف العلاقة مع الآخرين، وكم نخسر كثيرا من اللوم المباشر، ومن العبارات الحادة، ومن التوجيهات الغليظة.

فلابد أن نتربى ونربي غيرنا، وأن تتربى مجتمعاتنا على أن تكون لغة النقد البناء لغة سائدة بين الجميع، وعلى أن يكون الحديث عن الأخطاء حديثاً لا تقف دونه الحواجز ولا العوائق، مادام ذلك داخل إطار النصيحة وداخل إطار النقد البناء.

والثانية : في غياب الأهداف التربوية :

ونحن دائما في نهاية المطاف نبحث عن مكمن الخلل .. هل هو في الفرد أم في المربي أم هو في المنهج ؟؟!!

يجمع المربون على وجود خلل واضح في المنتجات التربوية ناتجٍ من وجود تصدع بيّن في البنية التحتية للتربية، بيد أنهم يختلفون كثيراً في أسباب الظاهرة وعلاجها، وفي رأيي - المتواضع - أن للظاهرة أسباباً متعددة يمكن إرجاعها إلى سبب واحد هو غياب الأهداف التربوية الواضحة التي يجب على المربي تحقيقها.

فكيف - والحالة كهذه - يحقق المربي نجاحاً مثمراً وهو لا يدري في حالات كثيرة ما هي المواصفات التي يجب التقيد بها؟!!

إن بعض المربين قد يغفل عن بعض الأهداف لمدة قد تصل إلى سنوات؟! فماذا عن المنتج..؟ قطعاً إنه معيب!! وهنا يأتي دور المؤسسة التربوية في صياغة وتحديد الأهداف التربوية، ومطالبة المربين بتحقيقها، وذلك لئلا يُلجأ المربي لأن يجتهد.. فيخطئ ويغفل وينسى!

والثالثة : في انتهاء الصلاحية :

مع أن الإنسان يستمر عطاؤه حتى يأتيه اليقين ، بل ويستمر عطاؤه حتى بعد الممات ، إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث .... ولكن وللأسف الشديد أننا نتعامل مع بعض المربين كما نتعامل مع المعلبات ، عندما نختم عليهم بختم (EXP) انتهاء الصلاحية .. وهذا أسلوب يقتل الأفراد ويبدد الطاقات ..

ومن حقنا داخل قطاع الدعوة أن نرفع أصواتنا وأن نطالب بإعادة النظر والتصحيح ومراجعة البرامج التربوية تارة بعد أخرى.

وللذكرى لابدَّ من مراجعة النفس ، ومراجعة الأساليب التربوية ، وتصحيح المسار . " إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد "

العودة المتجددة إلى أفياء الإيمان

مجيب الحميدي

" يا أيها الذين آمَنوا آمنوا... " ، آمنوا من جديد.. بالله وأسمائه وصفاته؛ فإن الإيمان بالله هو قلب الحياة وضميرها، فالذين آمنوا بالله زادهم هدى وآتاهم تقواهم، وفي هجير الحياة ورمضائها يجد المؤمنون في اللجوء إلى الله عز وجل وعبادته ظلا ظليلا، عوضا عن حرور المعيشة والحياة، ويجدون في الإيمان حياةً قائمة عوضا عن موت الحس والقلب.. ويجدون عند بابه بَصَر الحق والنور عوضا عن عمى الضلالة والظلمات ﴿ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير . وما يستوي الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور × ولا الظل ولا الحرور . وما يستوي الأحياء ولا الأموات...﴾ بهذه الكلمات المتدفقة يناشدنا الداعية سلمان بن فهد العودة إلى العودة المتجددة إلى أفياء الإيمان الرحبة مؤكداً أن عباد الله المؤمنون يتذوقون في اللجوء إلى الله عذوبة النجوى واللغة، فهو ملجؤهم وأنيسهم، فيقول قائلهم وهو في غمرة التعب والنصب:

منطرحًا أمام بابك الكبير..

أصرخ في الظلام أستجير..

يا راعي النمال في الرمال..

وسامع الحصاة في قرارة الغدير..

يدعونا العودة إلى تخيّل هذا القلب المهزوز المرتبك، ينادي ربه أن يهبه الحياة والصحة والرضا، بعد أن طال بُعده عن ربه، وتاهت به الدروب، وأنهكته الخطوب.

ويؤكد الشيخ العودة أن الدعوة للإيمان تشمل حتى أولئك المؤمنين الذين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وبعد ما أنزل عليهم الكتاب فاختلفوا، وأرهقهم الجدل الكلامي عن حقيقة الإيمان والحياة والعمل: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم...﴾.

سجود القلب لله

الإيمان كما يعرفه العودة هو دوام الحب لله، والتصديق به، واللهج بذكره، ودوام سجود القلب لله..وفي سياق الحديث عن سجود القلب لله يروي العودة أن بعض السلف سئل: هل يسجد القلب؟ قال: نعم، يسجد سجدةً لا يقوم منها إلى يوم القيامة. وهذا الإيمان يعطي الأحياء قانون الحياة وتعاليم البقاء، ويعودهم على الشجاعة الحقيقية في معركة الحياة، كما يقول أحد شعراء النضال الفلسطيني:

هاتوا أياديكم..

فمعركة البقاء تريدكم جندا..

ومعركة الرجوع..

الموت للغر المغامر والجبان..

والمجد للبطل الذي يتحمل الصدمات..

ويؤكد العودة أن الإيمان بالله هو الكفاح في معركة البقاء والوجود، والعمل في سبيل الله، والكر والفر، والإقدام والرجوع، وأما حصر الإيمان والتعبد في الأداء النسكي المحض من الشعائر التعبدية المحضة؛ كالصلاة، والصوم فقط، فهو قضاءٌ على شطر كبير من حقيقة الإيمان والعبادة، وهذا المفهوم الذي يعزل بين العمل العام وبين الإيمان والعبادة غريبٌ عن روح الإسلام ومقاصده وثوابته، بل هو إرث كنسي مسيحي متعلق بظروف التاريخ الغربي ومشاكله الخاصة.

فالإيمان والتعبد في الإسلام يضيف إلى كنفه كل أشكال العمل الخير والنفع الذي قصد به وجه الله تبارك وتعالى، يقول الله تعالى: " قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين " .

وقد نسمع كثيرًا من يتحدث عن الخاتمة الحسنة، فيذكر من مات وهو ساجد، أو وهو قائم يصلي، أو نحوه، وهذا من حسن الخاتمة دون شك، إنما ليست محصورة في ذلك، فلماذا لا نثني- مثلاً- على من مات وهو مجتهد في حقله ومزرعته، ونعد ذلك من حسن الخاتمة، أو من يعمل حتى يكفي نفسه وزوجته وأولاده ووالديه من العيش الحلال؟.

وفي هذا السياق يتساءل العودة : لماذا لا نثني على من مات وهو منهمك في إبداع أو اختراع أو ابتكار؛ يخدم من خلاله الإسلام والمسلمين؟.

لماذا لا نثني على من مات وهو منشغل في وظيفته التي من خلالها يقوم بواجبه تجاه أمته ومجتمعه، ويطلب العيش الكريم الحلال؟.

لماذا نظن أن الشيء الذي ينبغي الثناء عليه فحسب هو جانب التعبد المحض، دون جوانب الحياة المختلفة التي كأنها معزولة أو بعيدة؟.

يروى في الحديث (إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها)، والموت هو القيامة الصغرى، فالحديث يجعل العمل والحياة والزرع أداءً لحق الله؛ لأن هذه الفسيلة المغروسة ليس فيها أي نفع دنيوي بعد أن تقوم القيامة.

والأنبياء -عليهم السلام- حين يدعون للإيمان فهم يدعون للحياة والعمل، حين يقولون: "اعبدوا الله ما لكم من إله غيره"، وكانوا يعيشون الحياة كلها بشكلها الطبيعي، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، بل ويعدون الناس بخيرات الحياة، أو يلفتون أنظارهم لها، ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾.

وجَعَل الإسلام مفهوم الإيمان يشمل كل ضروب الحياة؛ من الضمير إلى أدنى الأعمال (الإيمان بضع وسبعون-أو: وستون- شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطةٍ الأذى عن الطريق) وقدّم تصنيفا واسعًا مرنًا للإيمان؛ فجعل السلام صدقة، وإصلاحَ ذات البين صدقة، وإعانة المحتاج، وتخفيف المعاناة عن المصابين، بل وحتى الشهوةَ الجنسية، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيه أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر). أخرجه مسلم.

وتاريخ الإسلام والإيمان هو تاريخ العلم والعمل والحضارة والثقافة، وتاريخ العلماء الفقهاء جنبًا إلى جنب مع تاريخ العلماء المبدعين؛ عاشوا في جو واحد، وكانت مسئولية الحاكم المؤمن حماية المجتمع وتطوير كل ألوان العلوم، دون أن يفتعلوا انقسامًا في عقل الإنسان وضميره وعقله بين العبادات المحضة والأعمال الدنيوية النافعة، وبين المصالح العامة.. فكل ذلك لوجه الله وفي سبيله، وصدق الله: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾.

شارة

أن طريق الهدى والرشاد إنما يبدأ بتعهد النفس وإصلاحها حتى تستقيم على أمر الله، (ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها)، وأننا جميعا مطالبون بتلمس كل أسباب الهداية والبعد عن كل مسببات الغواية، بما في ذلك الاستشارة وطلب النصيحة، واختيار الصحبة وغيره.

أننا مطالبون بالعمل لإيجاد مناعة ذاتية تقينا غوائل النفس ومضلات الهوى وما أكثرها، فقد لا يتوفر لأحدنا من يستنصحه ويستنير برأيه، وقد يكون في بلد ليست فيه دعوة أو دعاة أو مسئولون أو ما شاكل ذلك.. فماذا يفعل؟ هل يتبع نفسه هواها ويتمنى على الله الأماني، أم يجاهد نفسه بنفسه حتى تستقيم على أمر الله؟ مصداقا لقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتهيئوا للعرض الأكبر " .

و الإسلام يطالب كل واحد منا بالتأسيس لرقابة ذاتية، من خلال حضنا على مراقبة الله عز وجل، إذ هو معنا أينما كنا: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم).

ليس في الإسلام "كرسي اعتراف" كما هو مبتدع عند النصارى، وإنما في الإسلام أبواب من التوبة إلى الله مفتوحة لا تغلق حتى تقوم الساعة، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: "إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها" رواه مسلم.

■ فتحي يكن

جديد عالم الفكر

محنة الرأي وسيكولوجية الاستبداد في كتاب جديد للباحث الأحمدي

صدر حديثاً للباحث ثابت الأحمدي كتاب بعنوان " محنة الرأي في تاريخ المفكرين " والكتاب كما يؤكد الدكتور عبدالعزيز المقالح في تقديمه له يبشر بميلاد مفكر شاب ، يشق طريقه بقدر غير قليل من المنهجية والجرأة .

تضمن الباب الأول من الكتاب أربعة فصول تناولت مفهوم الاستبداد وتاريخه وجدلية الرأي والسيف والمثقف والسلطة وتناول الفصل الرابع سيكولوجية المستبد وتضمن وقفة مع قوله تعالى " ولا تركنوا إلى الذين ظلموا " وتطرق الكاتب لآثار ونتائج الاستبداد.واستعرض الكاتب في الفصل الثاني بعض ضحايا حرية الرأي في التاريخ الإسلامي ومنهم عبدالله بن الزبير وسعيد بن جبير وأحمد ابن حنبل وبن تيمية وجمال الدين الأفغاني والكواكبي ومحمد محمود الزبيري

أسباب الفتور في العمل الحركي

الحركة الإسلامية هي العمل الجماعي المنظم الهادف إلى أداء الرسالة الإسلامية، وتحقيق أهدافها داخل النفس وخارجها، والعمل الجماعي المنظم هو الجهد الواعي الذي تبذله جماعة من الناس لتحقيق أهداف معينة من خلال تعاونهم، وتكامل جهودهم، وتآزرها في سبيل تحقيقها.

ومقومات هذا العمل :

(١) الوعي بمنطلقات العمل والاقتناع الكامل بها.

(٢) وضوح غاياته وأهدافه النهائية لدى المشاركين فيه.

(٣) اقتناعهم بها وعمق إيمانهم بضرورة العمل لتحقيقها وبلوغها.

(٤) وضوح الأهداف المرحلية لديهم - العامة والخاصة ، الكلية والجزئية - واقتناعهم بجدواها.

(٥) توفر القيادات المؤهلة والمستوعبة لمهامها وأتباعها، وحسن قيامها بواجباتها: تربية وإدارة ورعاية.

(٦) أن يعرف كل مشارك في العمل الجماعي مكانه فيه ودوره المناط به، وأن يجد أن مكانه الذي وضع فيه متناسب مع قدراته ومواهبه وعلمه وخبراته.

(٧) توفر روح الجماعة التضامنية، وعمق شعور المشاركين بها.

خاطرة

■ محمد الخميسي

وكلما توفرت هذه المقومات وكان توفرها أتم وأكمل كان المشاركون في العمل الجماعي أكثر فعالية وحيوية ونشاطاً فيه، ومن هنا فإن أهم أسباب الفتور المتعلقة بهذا الجانب:

١) غياب الهدف أو عدم وضوحه.

٢) عدم أو ضعف الاقتناع بجدواه وأهميته.

٣) غياب الوعي بمنطلقات العمل ودواعيه وموجباته الشرعية أو سطحيته وقصوره.

٤) الشعور بالإهمال والتهميش ، وعدم الرعاية.

٥) عندما لا يعرف كل منتم إلى الحركة الإسلامية مكانه في صفها ودوره الذي عليه القيام به تحقيقاً لأهدافها.

٦) أو عندما يجد أن مكانه الذي وضع فيه والدور الذي أنيط به غير مناسب لقدراته واستعداداته ومواهبه.

وهنا نتناول كل واحد من هذه الأسباب بشيء من البيان:

١) لقد زود الخالق جل وعلا مخلوقه الإنساني بقوى وطاقات وقدرات فكرية وشعورية وعملية هائلة، ولكنها لا تنطلق من مكانها، لتتحرك وتعمل إلا إذا توفرت البواعث الكفيلة بانبعاثها.

٢) والإنسان لا يتحرك قولاً وعملاً إلا إذا كان له مراد يريده ومقصود يقصده، وهدف يريد تحقيقه، ثم إن شدة إقباله ونشاطه في العمل لتحقيقه مقدر بقدر مكانة هذا الهدف الذي يقصده ويريد تحقيقه في نفسه وأهميته لديه، وإدراكنا لهذه الحقيقة يجعلنا نقول: إن إقبال العاملين في ميدان العمل الإسلامي على العمل وقوة نشاطهم وعلو همتهم فيه مشروط بقوة ارتباطهم بالأهداف والغايات التي يجب أن يعملوا لتحقيقها وبلوغها، ووضوح رؤيتهم لها بكامل أبعادها، وإدراكهم لمتطلبات العمل لها وسُبل تحقيقها، واقتناعهم بجدواها.

فالوعي بالأهداف على هذا النحو يعني : توفر البصيرة ووضوح الرؤية لديهم وللوجهة التي ينبغي لهم أن يوجهوا إليها جهودهم ومساعيهم، وإلى ما ينبغي لهم عمله فيها، وللسبل التي عليهم اتباعها.

٣) الاقتناع الكامل بأهمية الأهداف وجدواها، وبظروف العمل لتحقيقها يعني: توفر المحرك لبواعث الإيمان الباعثة على العمل والحركة، والدوافع الدافعة إليه المحرضة عليه.

فوجود السبب الأول يعني فقدان البصيرة أو الغبش في الرؤية لما يجب عمله، وبذل الوقت والجهد لإنجازه وذلك ما يترتب عليه التخبط والفتور.

ووجود السبب الثاني يعني : انعدام البواعث المحركة للعمل والدوافع الدافعة إليه، والمحرضة عليه أو ضعفها مما يترتب عليه قعوداً عن العمل أو فتور النشاط فيه وضعف الإقبال عليه.

وفقدان البصيرة بالهدف وانعدام الرؤية له، ولكيفية العمل لتحقيقه، أو ضعف البصيرة به وغبش الرؤية بسبل العمل لتحقيقه قد يكون متعلقاً بأهداف العمل الإسلامي النهائية والغائبة أو بالأهداف البعيدة المدى الإستراتيجية أو القريبة المدى أو بالأهداف الكلية أو العامة أو بالأهداف الفرعية أو الجزئية فربما كان الفتور في العمل والحركة ناشئ عن عدم وعي بأهداف الحركة الإسلامية البعيدة المدى أو النهائية أو لعدم الاقتناع بأهميتها وجدواها.

وعدم الاقتناع هذا قد يكون نتيجة لعدم إدراك عمق ارتباط هذه الأهداف بغاية وجود الإنسان التي خلقه الله لتحقيقها؛ أو بأهداف الرسالة الإسلامية التي كلف الله عباده المؤمنين بحملها والعمل والجهاد لتحقيق أهدافها.

وربما كان الفتور ناشئاً لعدم وجود البرامج والخطط الخادمة لهذه الأهداف، أو لعدم الاقتناع بأهميتها وجدواها في خدمة تلك الأهداف وملاءمتها للواقع ومتطلبات التعامل معه لتغييره.